﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[١] وكما يذكر بعد التوراة والإنجيل مهيمناً عليها: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٢].

ثم اللوح هو صحيفة معدّة لأن يُكتب فيها، لائحة ظاهرة لمن يقرؤها، من لاح البرق إذا لمع، إذاً فألوح الألواح هنا هو لوح قلب موسى عليه السلام له ولمن يقرأ الرسالة التوراتية من قاله وحاله وأعماله، ثم هو لوح التوراة حيث كتبه الله بيده، ومن ثم ألواح صدور وقلوب المؤمنين بها، وألواح قالاتهم وفعالاتهم، فالكتابة هنا - إذاً - تعم أصلها من الله، وفصلها من أهل الله رسلاً ومرسلاً إليهم.

ذلك، وأما ما هي نوعية الألواح المكتوب فيها التوراة؟ فقد أجمل عنها القرآن، فلا علينا أن نعرف ماهيه؟ بعد ما نعرف التوراة التي هي الأصل فيها، وقد وردت فيها آثار مستغربة وأخرى مستقربة إلى التصديق[٣].

ثم ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الموعودة إراءته لهم قد تعني إلى دور الفسوق هنا[٤]

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) نور الثقلين ٢: ٦٨ في كتاب الاحتجاج عن عبد الله بن الوليد السمان قال قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً، قال فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً...﴾ [الأعراف: ١٤٥] ولم يقل: كلّ شيء، وقال لعيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣] ولم يقل: كلّ شيء وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] وقال الله عزوجل: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وعلم الكتاب عنده.

(٣) كما في الدر المنثور ٣: ١٣٠ - أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً.

(٤) نور الثقلين ٢: ٧٠ في تفسير العياشي عن محمد بن سابق بن طلحة الأنصاري قال: كان =

والدار الدنيا لأهليها الفسقة وفي الأخرى، تعني الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، وقد كانت دار الفاسقين من العمالقة المشركين.

ذلك، وفي نظرة أخرى إلى الآية ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا تعني ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ على الإطلاق، ولا كل شيء من دين الله الموزع على الشرائع الخمس، بل هو ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ تصلح للشرعة التوراتية لزمنها، فـ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ في حقل شرعة الله تعني الدين كله، و﴿مِن﴾ هنا تعني بعضاً منه يختص بالدور التوراتي وكما تعنيه ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ...﴾[1].

ثم ﴿مَّوْعِظَةً﴾ تليناً لهم بعد بالغ الحجة التي تحويها هذه الألواح، ومن ثم ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تخص الشرعة التوراتية، دون كلّ شيء كما القرآن، المهيمن على ما بين يديه من كتاب، الحاوي لزيادة عليه يحتاجها المكلفون إلى يوم الدين.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ في بُعْدي العصمة البشرية التي حصلت عليها قبل العصمة الرسالية، وهذه العصمة الرسالية، تكريساً لكلِّ قواتك لأخذ الألواح علمياً وعقيدياً وعملياً رسولياً ورسالياً.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ وهنا مفعول ﴿يَأْخُذُوا۟﴾ محذوف معروف من ذي قبل وهو الألواح، فالباء في ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ لا تعني التعدية، فهي في مثلث العناية: ابتداء ومصاحبة وسببية، أن يكون بازغ أمرهم «أحسنها» مصاحبين إياه ومتسببين به إلى كلِّ خير.

= مما قال هارون لأبي الحسن موسى عليه السلام حين دخل عليه: ما هذه الدار؟
قال: هذه دار الفاسقين، قال: وقرأ هذه الآية، فقال له هارون: فدار من هي؟ قال: هي لشيعتنا قرة ولغيرهم فتنة قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟ قال: أخذت منهم عامرة ولا يأخذها إلّا معمورة.

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

و«أحسنها» كما أسلفناه هو أحسن أخذة وأحسن قوة، وأحسن نفسية ونفاسة حيث الألواح كلها أحسن، ثم وأحسن عند دوران الأمر بين المهم والأهم فيها، أم والأخذ بالأحسن هو أقل تقدير في تلك الأخذة بالقوة، دون وخزة.

فيقرب خماسية بأحسنها في مثلث معاني الباء تصبح المحتملات خمسة عشر احتمالاً: أخذاً بأحسن أخذة ابتداءً ومصاحبة وسببية، وبأحسن قوة كأخذة، وبأحسنها ككلّ، ابتداءً بالكلِّ ومصاحبة للكلّ وتسبباً بالكلّ، وبأحسنها عند دوران الأمر، ابتداءً به ومصاحبة وتسبباً، وبأحسنها نسبياً.

والمحتملات الخمسة عشر كلها صالحة للعناية من ﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ أدبياً ومعنوياً.

وإذا كان الأخذ بأحسنها فريضة توراتية، فبأحرى الفريضة القرآنية، يجب أخذها بأحسن أخذة وأحسن قوة وسائر الأحسن دون أي فتور.

استقطاباً وتكريساً لكافة الطاقات الحاضرة والمستحصلة لتحقيق حقيق بالقرآن بكلِّ حقوله الدراسية والعقيدية والعملية والدعائية.

وأين هذا مما تعيشه الحوزات الإسلامية من رفض القرآن، مهما خيّل إليها أنه أول الأدلة الشرعية، ولكنك لا تجده وجداً صالحاً في العلوم الحوزوية عن بكرتها!.

وهنا ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ - وهي الجحيم بدركاتها - تهديد مديد بهؤلاء الذين لا يأخذونها بأحسنها، تركاً لأية أخذة بأية قوة، أم أخذة بوخزة.

ومن المسائل المستفادة هنا أن الأمر هو برهان الفرض، فإن تاركي هذه الأخذة التوراتية مهددون بدار الفاسقين، الذين يفسقون عن أمر الله بلسان رسوله، وأن الأمر بالأمر كما الأمر من أدلة الفرض.

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾:

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ كلها، رسولية ورسالية، تكوينية وتشريعية، صرفاً عن نقضها أو النقص منها، وصرفاً عن الإيمان بها قضية استكبارهم في الأرض بغير الحق.

فهنا صرف عن آيات الله حفاظاً عليها من دوائر المتكبرين، وصرف لهم عنها ألا يؤمنوا بها حيث عاشوا تكذيبها والتغافل عنها، جزاءً وفاقاً.

فالمتكبِّر في الأرض بغير الحق - وكل تكبّر في الأرض هو بغير الحق وليس التكبر مع المتكبر تكبُّراً في الأرض بل هو خاص بحقله الخاص - هو مصروف عن آيات الله، ومن منتجات ثاني الصرفين - الذي هو من منتجَات ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ بعد تكبُّرهم في الأرض وقضيّته - إن منها ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ كرأس الزاوية من ثالوث منتجاتهم ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ رغم رؤيتهم ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ جبلة تجنح عن سبيل الرشد حيثما رأته، وتجنح إلى سبيل الغي حيثما لاح لها.

إذاً فهي جبلة الغي والضلال إذ هي تُعاكس الحق إلى الباطل والباطل إلى الحق: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1].

فهنا سببان اثنان تلو بعضٍ، ونتيجةَ بعضها البعض، هما «يتكبرون - كذبوا...» وهما الموجبان لصرفهم عن آيات الله، ولثاني الصرفين ثالوث «لا يؤمنوا بها - لا يتخذوه - يتخذوه».

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

هذا، وذلك تهديد شديد مديد بما يحاوله المتكبرون من نقض القرآن ونقصه أو نقده، ولحدٍّ الآن ما استطاعوا على شيء من ذلك ولن، وكذلك يهدّدون أن يصرفوا عن تفهّم القرآن كما يحق نتيجة تكذيبهم به، فهم في ريبهم يترددون.

ذلك وهنالك صروف أخرى ﴿عَنْ ءَايَتِيَ﴾ أن يصبحوا فاضي الأيدي والأبصار عن آيات الله البينات بكلِّ حصائلها ووسائلها، صرفاً عن بيناتها، وزياداتها، ونقضها، والنقص فيها، والصدّ عنها، ثم واجتياحهم واصطلامهم صدّاً عن كلِّ ما يريدون من دوائر السوء بها، فتصبح الآيات النافعة لمن يبصرون إليها وبها، اليافعة لهما في الأولى والأخرى، تصبح لهم ضارة فيهما.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾:

أولئك ﴿حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ الصالحة عن آثارها الأخروية مهما كانوا موحدين فضلاً عن المشركين والملحدين حيث الحبط في مقام العقوبة ليس إلّا في حقل الحسنات، فتتمحض الأعمال في السيئات، وأصل الحبط من قولهم: حبطت الناقة إذا رعت نباتاً سامّاً فانتفخ بطنها ثم نفقت، فهؤلاء الأنكاد يتنفخون ويتنفجون بمظاهر من زخرفات الحياة، فيحسبهم الجاهل على شيء من القوة والمكانة، ثم ينفقون كما تنفق الناقة التي رعت ذلك النبات السامّ، فالتكذيب بآيات الله يعم مثلث التخلف في حقل الإلحاد: ١ - تكذيباً بالله، ٢ - والإشراك تكذيباً بتوحيد الله، ٣ - والتوحيد تكذيباً بشرعة الله المحكّمة.

ثم ﴿وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ تكذيباً لأصل لقائها، أم حق لقائها إلى باطله كمن يخيّل إليهم أن الله لا يحاسب عباده يوم لقائها أم يعفو عنهم جميعاً، أماذا من الضلال تصوراً خاطئاً عن لقاء الآخرة.

﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فإن حبط أعمالهم في الأخرى هو نفسه حبطها في الأولى، لخبطها بفراغها عن الإيمان الصالح، إذاً فالجزاء هو نفس العمل دون مغايرة بينهما أو زيادة، وهذه الضابطة برهان لا مردّ له على أن لا جزاءَ بمجرد النية في حقل العقوبة، مهما كان الجزاء بصالح النية، فإنه قضية فضله تعالى، وذاك قضية عدله، فلا جزاءَ في قسطاس العدل لمجرد النية الطالحة إلّا مجرد النية الطالحة دون أية عملية عقوبية، فالقصد من العمل هو الحالة الفعلية من قالة أو عقيدة أو عملية، وليست النية بالنسبة لها إلّا حالة شأنية، إذاً فقضية العدل هي فعلية بفعلية وشأنية بشأنية، اللهم إلّا في نية الخير فإن فعلية الثواب لها هي من قضايا فضله تعالى.

أجل، قد يصح القول إن نية السوء محرمة فيما إذا أدت إلى فعل السوء لأنها - إذاً - من الإثم - وهو كلّ ما يبطئ عن الثواب -، ولكن الجزاء هنا يختص بواقع السوء.

فحتى لو شملت ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ النية الطالحة فـ ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ تقرر الجزاء بظهور نفس النية مظهر العذاب النفسي دون واقع له آخر خارج عن نفس النية.

فذلك الاستنكار يستنكر القول: إن المخلدين في النار مؤبدون فيها لغير نهاية مهما كانت أعمالهم محدودة، إذ كان من نيتهم السوء أن لو ظلوا أحياء لغير النهاية لاستمروا في سوء أعمالهم، حيث تدلنا هذه الآية وأضرابها أن لا دور للنية الطالحة في حقل العقوبة العملية قضية العدالة مهما كان للنية الصالحة دور في حقل المثوبة بفضل من الله ورحمة!.

وهنا احتمال آخر في ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ هو أن الجزاء حسناً وسيئاً ليس إلّا بالعمل، فلما حبطت حسناتهم فلم تبق لهم إلّا سيئات فهم - إذاً -

مجزيون - فقط - بسيئات حيث ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1].

وترى أن حصر الجزاء فيما كانوا يعملون كما ينفي العقاب عن نية السوء، كذلك ينفيه عن ترك الواجب لأنه ليس عملاً، فيختص بفعل الواجب والحرام دون تركهما؟.

كلّا حيث العمل يشمل الإيجاب والسلب، فكما أن فعل الواجب عمل كذلك تركه لأنه باختيار، وهكذا فعل الحرام وتركه، فالمعنيُّ من العمل في موقف الثواب والعقاب هو الفعل والترك، اللذان هما بالفعل فعل إذ لا يتحققان إلّا باختيار الواقع فعلاً وتركاً.

ولو أن العمل يختص بالموجب دون المنفي فقد تكفي الآيات المهدّدة لترك الواجبات والمرغّبة إلى ترك المحرمات، تكفي توسعة في حقل الجزاء من العمل إلى تركه.

وبوجه ثالث قد تعني هنا «بما تعملون» فقط الحسنات بقرينة الإحباط، فالذين تحبط حسناتهم فبماذا يثابون وليست لهم حسنات، فإنما يعاقبون عقاباً خالصاً بعد فالس الحسنات وكالسها، بما فعلوا من عصيانات وتركوا من واجبات.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾:

قصة العجل الجسد الذي له خوار مفصلة بحذافيرها في «طه»[2] فلا نُعيدها، ولا نُعيد هنا إلّا قصة الحلي المذكور هناك بصيغة «زينة القوم» أنها كانت من حليّهم دون حلي آل فرعون، لمكان ﴿حُلِيِّهِمْ﴾.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) الفرقان ١٦: ١٦٧ - ١٨٥، فيه تفصيل مشبع عن تمام القصة بتمامها.

وهنا ﴿جَسَدًا﴾ وصفاً متميزاً لـ ﴿عِجْلًا﴾ تخرجه عن كونه حياً، فإن ﴿عِجْلًا﴾ تكفي لكونه حياً، فلا دور إذاً لـ ﴿جَسَدًا﴾ إلّا تجسيد العجل الذهبي ذهبياً كما «أخرج لهم السامري» ولأن السامري لم يكن ليُخرج لهم إلّا ما أخرج، دون معجزة تحويله إلى عظام ولحم، فضلاً عن إحيائه كسائر العجل التي يخلقها الله، فقد نتأكد بهذا أو ذاك أن العجل لم يتحول عن البنية الذهبية إلى غيرها بحياة وغير حياة، وأما ﴿لَهُۥ خُوَارٌ﴾ فلأن ﴿خُوَارٌ﴾ هو صوت العجل الحقيقي فليكن خواره الحقيقي، إلّا أن ﴿جَسَدًا﴾ يفصل عن ذلك.

ولأن ﴿لَهُۥ خُوَارٌ﴾ دون «للسامري فيه خوار» أم بجري الريح من دبره إلى فمه خوار، لذلك فليس - إذاً - خواره إلّا بما أخار الله من صوت العجل الحي في العجل الجسد، وهذه هي أقل فتنة شرّ لهؤلاء الأنكاد البعاد، وليعلموا من هم أولاء في حقل المعرفة الربانية، بعد تواتر الآيات البينات التي رأوها منذ الرسالة الموسوية.

أجل ﴿لَهُۥ خُوَارٌ﴾ بما الله أخار[1] فتنة لهم وابتلاء بما يستحقون وكما قاله موسى عليه السلام:

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾[2].

فهي - إذاً - فتنة شرٍّ للشريرين وكما افتتنوا بها وتبلبلوا، وفتنة خير للخيّرين كما نجحوا فيها حيث تبلور الإيمان ولم يتبلبل، كما ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

---

(١) نور الثقلين ٢: ٧٠ في تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية فقال موسى: يا رب ومن أخار الصنم؟ فقال الله: يا موسى أنا أخرته فقال موسى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ...﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن فيما ناجى الله موسى عليه السلام أن قال: يا رب هذا السامري صنع العجل فالخوار من صنعه؟ قال: فأوحى الله إليه يا موسى إن تلك فتنة فلا تفحص عنها.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ ولو كان إلهاً لكلّمهم ليهديهم سبيلاً ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فهل هو بعد إله يعبد على كونه ميتاً ليس له صوت حتى صوته، فضلاً عن صوت يهدي سبيلاً ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسهم إذ ضلوا دونما حجة، وإنما لجاجاً أوقعهم في لجة، فكانوا صراحاً، إذ لا يقيل الإشراك بالله إلّا أنه ظلم غير قاصر ولا معذور، فحتى الحشرة تميز بين الفاضل والمفضول في حقل معرفتها، وهذا الإنسان الذي جعل نفسه في أسفل سافلين انقلب إلى أدنى من الحشرة حيث يترك خالق الكون أجمع ويعبد عجلاً جسداً له خوار!.

وإنما ذكر هنا من شؤون الألوهية التكليم والهداية، دون شؤون أخرى لها كالتجرد واللّامحدودية والحياة وما أشبه؟ لأن حصيلة الألوهية الصالحة للمألوهين هي التكليم بما يسعدهم، والهدى بما يتبعونه، فحتى إذا وجد كائن له كافّة ميّزات الألوهية دون هداية فهي - إذاً - ألوهية خاوية غاوية!.

لست أقول: إن كل من كلّم وهدى هو إله، إنما أقول: من لا يكلم ولا يهدي ليس إلهاً، فللألوهية ميّزات أبرزها في حقل الربوبية التكليم بما يُرشد ويهدي المألوهية، فالربوبية لزامها التكليم بالهدى وليس هو لزامه الربوبية لأن لها ميزات أخرى معها، كأن تكون هدى طليقة لا يخلطها خطأ فضلاً عن أن تخلص في خطأ، وترى ﴿قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ هم كلهم في اتخاذ العجل إلهاً، علّه نعم لإطلاق القوم عليهم كلهم، وأن دعاءه اختصه وأخاه: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾[1]! ولكنه لا، حيث القوم لا يدل على الاستغراق، وموقف الدعاء هنا خاص بمنزلة الرسول وخليفته، ثم ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[2] تبعّض قومه إلى صالحين مصلحين وإلى طالحين مفسدين.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾:

هنا لا نعرف من آية الأعراف كيف ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ إنما هي آية طـــه: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾[1] فقد سقط محروقاً أمامهم ثم نسف في أليم نسفاً، إحراقاً ونسفاً له ولضلالهم المبين فـ ﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بأم أعينهم حسيّاً، بعد ما كانوا يرونهم ضلّالاً فطرياً وعقلياً وشرعياً، ولكنهم ما أمروا بضلالهم إلّا على ضوء الحس وكما عبدوا العجل الجسد قضية أصالة الحس.

ذلك، وعند ضلالهم بحاضر الإحساس ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا﴾ فغضب علينا بما ضللنا «و» لم «يغفر لنا» خطايانا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الذين خسروا أنفسهم إذ ماتوا عطاشاً يمّ اليمّ الزاخر من دلالات آيات ربنا البينات.

ذلك، فقد سقط كثير من الوجوه المذكورة في المفصلات لـ ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ في أيديهم، حيث الساقط البين هنا هو العجل الذهبي الإله بزعمهم، إذ أحرق ونسف في اليم نسفاً.

وقد يُعنى معه ﴿سُقِطَ﴾ ذلك الاتخاذ في أيديهم المحاولة لأخذه إلهاً بما بينه موسى بلسان الوحي، وبما أحرق ونسف في اليم نسفاً.

وثالثة لما ندموا بأشُده وأشَده حيث يقال لمن ندم «سقط في يده» إذ نفض يده عما كان يرجوه، ففند ونفد ما كان يرجوه.

ورابعة بمعنى وقع في يده السقيط كالسُّقاطة والنفاية، فقد كانت ألوهة العجل سقاطة مقيّتة ونفاية منفية في كافة الموازين المعنية ولكنها لما سقطت في أيديهم بحقل الإحساس حين أحرق ونسف رأوا أنهم قد ضلوا.

(١) سورة طه، الآية: ٩٧.